الأسلوبية الإحصائية عند سعد مصلوح

اد. لرجاني خديجة أسماء*

جامعة الجيلالي اليابس –سيدي بلعباس–

Lardjanikhadidja20@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2020/04/02 تاريخ القبول: 2020/12/23 تاريخ النشر: 2021/09/27

الملخص:

الأسلوبيّة الإحصائيّة من أبرز اتجاهات الدرس الأسلوبي المعاصر، وذلك راجع إلى اعتمادها على مناهج العلوم الدقيقة كالرياضيات والفيزياء والإحصاء،وتنبني هذه الأخيرة في معالجتها للنّصوص الأدبيّة على آليات وإجراءات إحصائية تمكنها من الكشف عن تلك السمات البلاغيّة واللّغويّة في النّصوص الأدبيّة، من خلال حصر وقياس الوحدات البنيويّة ذات وظيفة معيّنة إلى جانب اعتمادها على برمجيات الإعلام الآلي، وتقنيات الحساب الالكتروني؛ وهذا كله من أجل خلق علم موضوعي في مجال الدراسات النقديّة المعاصرة، من خلال توطيد العلاقة بين العلوم الإنسانية والعلوم التجريبيّة قصد تحقيق نتائج موثوق بها، بعيدة كل البعد عن الأحكام الذاتيّة والتقييمات الحدسيّة.

الكلمات المفتاحيّة: الأسلوبيّة؛ سعد مصلوح؛ الأسلوبية الإحصائيّة؛ معادلة بوزيمان.

Abstract: Statistical stylistics is one of the most prominent trends in the contemporary stylistic lesson, due to its reliance on the exact sciences approaches such as mathematics, physics and statistics. The latter, in its treatment of literary texts, is based on statistical mechanisms and procedures that enable them to reveal these rhetorical and linguistic features in literary texts, by counting and measuring the structural units Has a specific function as well as its reliance on automated information software and electronic computation techniques; And all this is in order to create an objective science in the field of contemporary critical studies, through the consolidation of the relationship between the human sciences and experimental sciences in order to achieve reliable results, far from subjective judgments and intuitive assessments.

Key words: stylistics, Saad Maslouh, statistical methodology, Bozeman's equation.

المؤلف المرسل: لرجاني خديجة اسماء، الإيميل: * **Lardjanikhadidja20@yahoo.com**

مقدمة:

قد برز في ميدان الدّراسات الأدبيّة الأسلوبيّة الإحصائيّة اسم الباحث المصريّ سعد مصلوح الّذي اختار أن ينهج في كل أعماله منهجا إحصائيّا كامل الشّروط غير مستند إلى الحاسوب ولا مستفيدا منه. وقد بدأ مشروعه البحثيّ منذ السّبعينيات، وكانت أولى ثمراته كتاب (الأسلوب دراسة لغويّة إحصائيّة)1980م. ثم تلت هذا العمل جملة من الأعمال جمعها سعد مصلوح في مؤلّف واحد صدّره بتقديم مناسب وأصدره النّادي الأدبيّ الثّقافيّ بجدّة سنة 1991م. وهو (في النّص الأدبيّ،دراسة أسلوبيّة إحصائيّة). وله إلى جانب هذين المؤلّفين مشاركات علميّة متعدّدة، دافع في بعضها عن المنهج اللّغويّ الإحصائيّ أهمّها ردّه على صلاح فضل في مقال صدر له بمجلّة فصول سنة 1985 العدد 3، بعنوان: (علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب).

وسعد مصلوح هو من ترجم Stylistics بالأسلوبيات، واستبدله بمصطلحين شائعين هما"الأسلوبية" و"علم الأسلوب" ويعلل هذا الإيثار بأنه: "أخطر وأطوع في التصريف، كما أنّه جاء في سنّة السلف في صك المصطلحات الشبيهة بالرياضيات والطبيعيات؛ ولأنّه يتسق بهذا المبنى مع مصطلح اللسانيات والصوتيات"[1] وهو المصطلح الذي يلح على استعماله عبد الرحمن الحاج صالح، ومازن الوعر كما يرى ذلك نور الدين السد.

يعد سعد مصلوح واحدا من أولئك الّذين اهتموا اهتماما بالغا بالأسلوبية الإحصائية، وخاصة الإحصاء الجبري حيث كان واحدا من المتحمسين لهذا الاتجاه والمروجين له. والإحصاء كما يراه الطرابلسي "علم ومنهج يقدّم وصفا مدققا معمّقا مرقما مع خطوط بيانيّة... ونتائج الإحصاء أحيانا تكون محدودة بعد الجهد المضني المبذول لكنها ثابتة. ليس كل شيء قابل للإحصاء ولكن الأشياء التي نستطيع أن نحصيها تتوفر فيها ضمانات لحسن التفكير فيها وتأويلها ولاسيما إذا بنينا الدرس على المقارنة فالإحصاء حساب في المنطلق وتأويل في المآل. والعمل الّذي قام به سعد مصلوح عمل جليل وقد اعتمد عمل يول الانجليزي وغيره من العلماء وناقشهم في بناء النظريّة الإحصائية وكيفيّة تطبيقها على النصوص العربيّة وتولى التطبيق في كثير من مجالات المعرفة منها مجال يهمنا كثيرا هو نسبة النّص إلى المؤلّف.

وتعتبر دراسته التّي نشرت في مجلة فصول والموسومة بـ(تحقيق نسبة النّص إلى المؤلف دراسة إحصائية وأسلوبيّة في الثابت والمنسوب من شعر شوقي) والتّي ضمها كتابه (في النّص الأدبي –دراسة أسلوبية إحصائية) "من أجرإ الدراسات النّقدية التّي لم يكتف الباحث فيها برصد دلالات العد والتكرار فحسب بل جعل من علوم الإحصاء وسيلة للكشف عن شخصية المؤلف المجهول المستخفية خلف قناع من اللّغة"[2]

وقد لاقت دراساته رواجا واسعا في مجال استيعاب مسائل العروض والقافية والمصطلح اللّساني والإحصاء والصوتيات وقضايا الإيقاع الشعري، التّي تسلح بمقاربتها بمعارف العصر وعلومه " وقد نجح في إناطة الأحكام النّقديّة بما يفسر بأنّه التحليل المنضبط لمباني النّصوص، فكان لإنجازاته شرف الرّيادة والتميز على غيرها من المحاولات النّقديّة الأخرى التّي أهلته لأنّ يأخذ مكانا مهما في النّقد الأدبيّ الحديث."[3]

وتمتاز أعمال سعد مصلوح النقدية "بالدقة والعلمية، والميل نحو الاختصاص، له منهج واضح وظاهر حيث يستثمر طرق معالجات علم الأسلوب للنصوص الإبداعية، ولاسيما مقارباته الإحصائية للنصوص. كما لا تخلو أي دراسة لسعد مصلوح من عرض نظري مستفيض لبيان ممارسة الأسلوب وإجراءاته المنهجية، يحيل فيها ضبط المقاييس الأسلوبيّة إلى مقولات تطبيقية عربيّة قديمة أو معاصرة، تساعد في حل مشكلات نقدية مبهمة."[4]

يعرض سعد مصلوح في مقالة له بعنوان (الدراسة الإحصائيّة للأسلوب) مقولة الزعفراني التّي مضمونها " إنّ العدد ليس بعلم إنّما اشتغل به بعضهم ليروج به سوقه" فلقد سيقت هذه المقالة في حق طائفة من العلماء اشتغلت بتتبع بعض المؤشرات الكميّة في الأسلوب القرآني. ولكنّها – على قدمها- تكاد تكون تعبيرا عن شكوك مترادفة يطرحها كثير من المعاصرين في جدوى المعالجة الإحصائية للأساليب"[5] على سبيل المثال لا الحصر صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، كتاب النادي الثقافي العربي، جدة، ط/3، وشفيع السيد: الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1976.

وعليه فإنّ المقاربة الإحصائية عند سعد مصلوح لم تحظ عند عدد من اللّسانيين المحدثين مثل سوسير وبلومفيد وتشومسكي بنصيب ملحوظ من العناية، بالإضافة إلى أنّ "الدرس الأدبيّ

واللّساني كلاهما قد كان ولم يكن الإحصاء فما وجه الضرورة إذن في اصطناعه ضربا من ضروب المقاربة للظاهرة اللسانية بعامة، والأسلوبيّة بخاصة."[6] وهذا ما أدى إلى ظهور العديد من الإشكالات المعرفيّة، طرحت الكثير من الأسئلة حول ماهية الأسلوب. وإن كان اتفاق جمهور اللّسانين حول العلاقة بين الدرس الأسلوبيّ والدرس اللّسانيّ إلاّ أنّ الإشكال ظل مطروح هو هذه العلاقة هل هي علاقة فرع بأصل؟ أم أنّ كلاهما أصل بنفسه؟...وأسئلة أخرى كثيرة كانت محل خلاف بين الدارسين. في هذا الصدد يرى سعد مصلوح أنّ "قضية المعالجة الإحصائيّة للأسلوب لن تكون من منجى من تأثير هذه الخلافات سواء من جهة المفهوم أو الإجراء أو الوظيفة، بل من جهة الحاجة إليها أصلا.[7]

ويسوق لنا الناقد في دراسته هاته الأساس النظري لفكرة الإحصاء الأسلوبي، انطلاقا من ظواهر السلوك اللّغوي لدى أي جماعة لغوية، حيث يتصف هذا السلوك اللّغوي في بعض مستوياته الاتصاليّة بالوحدة والتجانس، كما أنّه يتباين تباينا ظاهرا بين أبناء الجماعة اللّغويّة الواحدة، وعليه تتنازع التنوع اللّغوي عوامل جغرافيّة محليّة، وانتماءات اجتماعيّة موحدة Group affiliationsوانتماءات اجتماعيّة متعارضة Cross affiliations في خطوط ودوائر متداخلة ومتقاطعة حتى يبلغ التنوع مداه. وهذا التنوع هو ما حاول الدارسين تفسيره من خلال ثنائية اللغة /والكلام عند سوسير، أو ثنائية الكفاءة /والأداء عند تشومسكي. غير أن النظرية اللسانية الحديثة قامت في الأساس على افتراض الوحدة والتجانس، كما اعتنت بما هو عام ومشترك، أما التنوعات والفروق فاحتلت المحل الثاني من الاهتمام، وكانت اللسانيات الاحتماليّة Probablistic Linguistics هي من اضطلعت بدراسة هذا النوع من التنوعات والفروقات، وتحت هذا الفرع تنتمي الأسلوبيات اللسانية.Linguostylisties[8]

وإذا ما نظرنا إلى الدرس الأسلوبي لدى سعد مصلوح نجده يهتم بدراسة مظهر مهم من مظاهر التنوع في السلوك اللّغوي، حيث أنّ الدراسات اللّسانية قد سلكت حيال التنوع ومعالجته إحصائيا واحد من مسالك ثلاثة يقررها فرانك آنشين Frank Anshen كالتالي:

✓ **المسلك الأوّل**: هو تجاهل التنوع، والاعتراف أنّ كل عضو من أعضاء الجماعة اللّغويّة المعينة هو متكلم مثالي بالضرورة، وبالتالي له الحق في أن يكون المتحدث الوحيد باسم الجماعة في هذا المجال، إذ هي بدورها جماعة مثالية متجانسة في سلوكها اللّغويّ ...

✓ **المسلك الثاني**: فقد توسط بين الأمور، وطالب بتقييد المّادة المدروسة بالبيئة والمقام، وإن كان ذلك قد جرى على نحو غامض لا يمكن الاطمئنان إلى أسسه وإجراءاته ونتائجه.

✓ **المسلك الثالث**: فقد آثر اللجوء إلى الدراسة الإحصائية لضبط طرق اختيار الرواة والعينات ضبطا علميا، ويحول البيانات غير الرقميّة إلى بيانات رقميّة، ويختبر الصدق والثبات في النتائج، ويستكنه الدلالات الإحصائية للأرقام[9] وعليه يرى سعد مصلوح "أنّ المسلك الأخير هو الحل العلمي المنهجي لمعالجة ظاهرة التنوع اللغوي على نحو علمي منضبط، بل إنّ أهمية الإحصاء قد ثبتت لكثير من علوم اللّسانيات التقريريّة مثلا اللّسانيات التاريخيّة على سبيل المثال. أمّا في الأسلوبيات اللّسانيات فالحاجة إليه أشد إلحاحا، لأنّها لا تقارب السلوك اللّغوي بما هو ظاهرة متنوعة فحسب بل تقاربه بما هو استعمال لغوي متميز بالقياس إلى غيره. وبذلك يتجاوز اللّجوء إلى الإحصاء هنا دائرة الجواز إلى دائرة الندب. بل إلى دائرة الوجوب إذا أريد للتشخيص الأسلوبي وللأحكام النقديّة الناتجة عنه أن تناط جميعها بأوصاف ظاهرة منضبطة."[10]

وينتقل الناقد إلى تحديد ماهية الأسلوب من المنظور الإحصائي وذلك من خلال تقديم تعريف الأسلوب في المعالجة الإحصائية، فيقدم لنا تعرفين شهيرين هما:

✓ الأوّل: يحد الأسلوب بأنّه مفارقة departur (أو انحرافdeviation) عن أنموذج آخر من القول وينظر إليه على أنّه معيار norm. و بالمقارنة بينهما يقع التمييز بين (النّص المفارق) و(النّص النمط) ويشترط لتمام المقارنة تماثل المقام بينهما.

✓ والثاني: تعريف يحدّد الأسلوب بأنّه اختيارchoiceأو انتقاء sélection يقوم به المنشئ لمسات لغوية معينة من بين قائمة الاحتمالات المتاحة في اللّغة.[11]

إلاّ أنّه في التعريف الأول يجب معرفة خصائص التعبير الأصيل (أو النمطي) (أو المعتاد) ليكون بالإمكان قياس التعبير المعدول deviant إليه. وهذا ما يراه مصلوح صعبا وهو أمر لا يكون موضع اتفاق أو اجتماع. ضف إلى هذا أن مسالكه وعرة.

أمّا في التعريف الثاني يلزم الناقد بمعرفة قائمة الإبدال المتاحة، تلك التي يعمل المنشئ فيها فكره بالاختيار والاستبعاد. وهنا يجد الناقد نفسه أمام أسئلة كثيرة ومتشبعة، وهذه الإشكالات هي التّي تفتح الباب أمام المعالجة الإحصائية للأسلوب على نحو يمكن أن يفيد في تحرير كثير من التصورات النّظريّة والإجرائية. ويؤكّد سعد مصلوح –ها هنا– وجود تكامل بين تعريفين أكثر من وجود أوجه الاختلاف أو التناقض.[12]

وعلى الرغم من كل هذا إلا أنّ الدارسين يجمعون على أمرين هما:

- أولهما: الأسلوب مفهوم احتمالي في جوهره، وهو بهذه الصفة مستحق لأنّ يكون موضوعا للمعالجة الإحصائيّة إذا شئنا إحكام الوصف والتشخيص.
- ثانيهما:أنّ الأسلوب بمصادقاته المختلفة لا يمكن تحليله تحليلا شافيا إلا في ضوء التحليل الشامل للغة المعنية، ذلك أنّ التحليل الشّامل هو بمثابة تحديد خلفيّة الصورة أو الأرضية التّي تبرز بالقياس إليها الشكل فلابد من قياس المتنوع إلى المتجانس والخاص إلى العام.[13]

ثم يتحدث سعد مصلوح في مقاله عن المتغيرات الأسلوبية Stylistic Variables والتي يعني بها "مجموعة السمات اللغويّة التي يعمل فيها المنشئ بالاختيار والاستبعاد، وبالتكثيف أو الخلخلة وبإتباع طرق مختلفة في التوزيع ليشكل بها النّص وحينئذ تصبح المتغيرات الأسلوبية خصائص مميزة StylisticFeaturesاوموائزDiscriminators ..."[14] ويحدد الناقد أنواع المتغيرات الأسلوبية فيراها متغيرات شكليّة، وصوتية، وصرفية، وتركيبيّة، ودلاليّة.

✓ **من المتغيرات الشكليّة:** الشكليات التي تميز الشعر عن النثر، توزيع الأبيات، فنون البديع...

✓ **من المتغيرات الصوتيّة:** التوزيع النسبي لفئات الفونيمات، أنواع المقاطع (المفتوحة/ المغلقة)،التشاكل المقطعي...

✓ **من المتغيرات الصرفيّة:** أقسام الكلم، الصيغ الصرفيّة، مبتكرات الصيغ.

✓ **من المتغيرات تركيبيّة:** المركبات النحوية، أنواع الجمل، المجاز بالحذف...

✓ **من المتغيرات دلالية:**الوحدات المعجمية، المولد، تنوع المفردات...[15]

وعليه فإنّ أي خاصية مائزة فهي متغير أسلوبي بالفعل ولذلك فهي قابلة لأن تكون موضوعا للمعالجة الإحصائية الأسلوبية بهدف الكشف عن أنواع التشكيل الأسلوبي التّي خضعت له من قبل المنشئ.

وفي كل هذا يفرق الناقد بين المتغير الأسلوبي والخاصية الأسلوبية "من حيث أنّ المتغيرات الأسلوبية هي مادة غفل متاحة –من جهة الإمكان العقلي على الأقل– أمام جميل المنشئين ليعمل فيها كل منهم ...من طرق لتكون في النّص خصائص أسلوبية. وإذن يكون المتغير خاصيّة أسلوبية بالقوة تتحول في النص إلى خاصية أسلوبية بالفعل."[16] وهذا يعني أنّ المتغيرات هي المادة التي تتشكل منها الخصائص.

ويغدو سعد مصلوح إلى التمييز بين التشكيل الأسلوبي(Stylization)والتشخيص الأسلوبي (StylisticDiagnosis)من حيث "إنّ الأول عمل تركيبي يقوم به المنشئ، والثاني عمل تحليلي يقوم به الباحث، وإنّ هدف الأوّل إنتاج النّص، وهدف الثاني الكشف عن الهويّة الأسلوبية للنص."[17]

ويهدف التشخيص الأسلوبي لدى سعد مصلوح إلى تحقيق ثلاث غايات وهي:

1. الوصف الإحصائي الأسلوبي للنص للكشف عن الخصائص الأسلوبية المائزة فيه.
2. التحليل الأسلوبي للنّص.
3. الحكم التقويمي، أو ما يمكن الاصطلاح على تسميته (نعوت الأسلوب)[18]

وهذه الغايات مرتبطة ببعضها البعض فالوصف أساس لا غنى عنه في التحليل، وكلاهما أساس لا غنى عنه في الحكم والتقويم، و إنّ دارس الأسلوب دراسة إحصائية يستبعد الغاية التقويمية بل يكتفي بالوصف والتحليل، وعلية فإنّ الغاية الأولى والثانية متلازمتان، أما الغاية الثالثة فغير لازمة وذلك راجع في نظر الناقد "إما لأنّ الحكم والتقويم خارجان عن مهمة البحث...و إمّا لأنّ الوصف والتحليل قد لا يؤديان إلى حكم تقويمي يطمئن إليه الباحث."[19]

ولا ينسى سعد مصلوح أن يحدد مراحل إجراءات التشخيص الأسلوبي التي تبتدئ بمرحلة الفرض وتنتهي بمرحلة الاستناج ولا ينسى المحلل الأسلوبي الذّي يختار الفروض حيث يقوم هذا الأخير بالمعالجة النص المدروس إحصائيا، واثبات صحة تلك الفروض المختارة في أول مرحلة أو

بطلانها وتشمل هذه المرحلة جانبين هما: جانب الوصف الإحصائي، والثاني جانب التحليل الإحصائي، ليصل إلى الاستنتاج وهو الثمرة المرجوة من الفروض واختبارها، وان كان دور المعالجة الإحصائية للنصوص يظهر في مرحلة الفروض أو قبلها، وهنا الدارس الأسلوبي أمام خيارين: إما اختيار مادة تمثل مجتمعا إحصائيا كاملا (كديوان شعر، أو عمل أدبي برمته، أو مدونة كاملة)، أو أن يستغني عن ذلك ويختار عينات يشترط فيها أن تكون جيدة التمثل للمجتمع الإحصائي المرجو دراسته.[20]

وعلية فالدراسة الإحصائية تسبق الوصف والتحليل وتبدأ قبل اختيار العينات لأنّ هذه الأخيرة منوطة بمجموعة من الشروط يحددها سعد مصلوح كالآتي:

1. تحديد نوع العينة وحجمها، فالحل العلمي الدقيق لهذه المسالة ويوفر على الباحث وقتلا طويلا وجهدا مضنيا قد يضيعهما بدون جدوى، كما يستنقذ الباحث من متاهات أحرى به أن يتجنبها من أول الطريق.
2. اختيار أساليب المعالجة الإحصائية المناسبة لاختبار فروضه ولنوع العينة وحجمها.[21]

وعلى غرار هذا كله يري الناقد أنّ الكثير من الدراسات والرسائل الجامعية التي اعتمدت الوسيلة الإحصائية لمعالجة النصوص –ولاسيما نصوص الأدب– اعتمدت في غالبيتها على المعالجة الإحصائية البدائية كالعد أو الحصر وإن كانت من أساسيات العمل الإحصائي إلا أنّها ليست من إحصاء بالمفهوم العلمي في شيء وذلك لانّ " وظيفة الإحصاء قد تجاوزت عملية الحصر والعد لإجمالي المفردات أقسام الكلام وأنواع الجمل وغير ذلك، لتعطي مزيدا من البيانات القابلة للـــتوظيف في مجال الكشف عن أدق خواص النص على كافة المستويات التحليليّة المختلفة."[22]

ويذهب سعد مصلوح إلى أنّ مفهوم الدرس الإحصائي للأسلوب يتضمن بالضرورة مفهوم المقارنة بين أكثر من متغير أسلوبي في نص واحد، أو بين متغير واحد في أكثر من نص، أو بين أكثر من متغير في أكثر من نص وهذا يستدعي طرقا إحصائية معينة تفيد في تحقيق التشخيص الأسلوبي سواء على مستوى الوصف أو على مستوى تحليله.حيث تشمل طرق الوصف:

- مقاييس الوصف الإحصائي: وذلك من خلال قياس كثافة المتغير الأسلوبي، قياس النسبة بين متغيرين أسلوبيين، قياس النزعة المركزية للمتغيرات، قياس تشتت متغيرات البيانات، قياس التوزيع الاحتمالي للمتغيرات، قياس معامل الارتباط بين المتغيرات.

- طرق الاستدلال الإحصائي: من طرق الوصف الإحصائي صالح للاستخدام في مجال الاستدلال الإحصائي قياس التباين والانحراف المعياري ومعامل الارتباط.[23]

وفي هذا الصدد يعرض الناقد أهم المقاييس المعتمدة في اختيار الدلالة الإحصائية أسلوبيا ولغويا وهو مقياس كاي: وهو من مقاييس يكثر استعماله في البحوث الأسلوبية واللّغويّة الإحصائية لاختبار دلالة التركيب على مستوى الفونيمي، وهو أيضا من التوزيعات الحرة التّي لا تعتمد على شكل التوزيع التكراري." وتقوم فكرة المقياس على اختيار دلالة الارتباط بين ظاهترة ما والبيانات العدديّة المتعلقة بتوزيعها. (مثال ذلك: الارتباط بين جنس المتكلم ذكرا أو أنثى واشتمال الكلام على ظواهر صوتية أو تركيبيّة أو أسلوبية معيّنة). ونحن في هذه المسألة بين فرضين: إما أنّ الارتباط بين جنس المتكلم وهذه الظواهر هو ارتباط منعدم ويسمى هذا الفرض فرض العدم أو الفرض الصفري nullhypothisis، وإمّا أن يكون ثمة ارتباط دال بين الأمرين. ويقوم المقياس باختيار فرض العدم.، و ينشأ عن فرض العدم قبول الفرض البديل (أي إثبات وجود العلاقة)، كما أن عكس ذلك صحيح. ويتم الاختبار بإدخال التوزيع الفعلي (أو التوزيع المشاهد) للظواهر مع التوزيع المتوقع لها في هذه المعادلة وهي: إيجاد ناتج طرح رقم التوزيع الفعلي من رقم التوزيع المتوقع، ثم تربيع ناتج الطرح وقسمته على الرقم المتوقع. وتتم هذه العمليّة بالنسبة لكل خانة من خانات الجدول، ثم نقوم بإيجاد المجموع الكلي لنواتج هذه العمليّة في جميع خانات الجدول." [24]

ويقدم لنا سعد مصلوح مقياس آخر يستعمل في الدراسة الإحصائية وهو مقياس النسبة الحرجةZ-score: "يفيد هذا المقياس في إجراء حساب مباشر لدلالة فرق المتوسطات؛ أي لتحديد ما إذا كان الفرق بين متوسطي مجموعتين من القيم كافيا لاعتباره دالا من الوجهة الإحصائية أم لا. ويتطلب هذا المقياس معرفة ما يأتي:

أ- متوسط القيم في المجموعتين المعنيتين.

ب- عدد المشاهدات في كل مجموعة.

ج-حساب درجة التباينVariance لكل مجموعة (مربع الانحراف المعياري).

أمّا المعادلة الخاصة به فتكون بإيجاد: الفرق بين متوسطي قيما لمجموعتين ثم قسمته على الجذر التربيعي لحاصل جمع درجة تباين المجموعة الأولى مقسوما على عدد المشاهدات الخاصة بها + درجة تباين المجموعة الثانيّة مقسوما على عدد المشاهدات الخاصة بها "[25]

وعليه هذه أهم الطرق الإحصائية المعتبرة عند اللسانيين والأسلوبيين في معالجة النصوص اللّغويّة التّي يوردها سعد مصلوح في دراسته هاته.

وفي موضع آخر يوضح سعد مصلوح لنا كيف تستعين الدراسة الأسلوبية بالإحصاء وذلك في المجالات الآتية:

1. المساعدة في اختيار العينات اختيارا دقيقا بحيث تكون ممثلة للمجتمع المراد دراسته.
2. قياس كثافة الخصائص الأسلوبية عند منشئ معين أو في عمل معين...
3. قياس النسبة بين تكرار خاصة أسلوبية وتكرار خاصة أخرى للمقارنة بينهما...
4. قياس التوزيع الاحتمالي لخاصة أسلوبية معينة...
5. يخدم الإحصاء أيضا في التعرف إلى النزعات المركزية في النصوص...[26]

وهذه الاستخدامات المتنوعة لعلم الإحصاء في دراسة الأسلوب تساعد في معالجة عدد كبير من قضاياه.

ولقد عالج سعد مصلوح في دراسته الموسومة بـ(تحقيق نسبة النّص إلى المؤلف دراسة إحصائيّة وأسلوبيّة في الثابت والمنسوب من شعر شوقي) شعر شوقي وقد نبه إلى محاولتين سابقتين في دراسة المجهول من هذا الشعر اعتمدتا على الانطباع الذوقي، ولم يرتقيا إلى إعمال المعايير الموضوعية القادرة على تمييز الخواص الأسلوبية وقياسها، أولاهما لمحمد صبري في كتابه (الشوقيات المجهولة)، ثانيهما لرؤوف عبيد في كتابه (الإنسان روح لا جسد)[27]

واعتمدت الدراسة على المقياس الّذي طوره عالم الإحصاء الانجليزي (يول) وهو مقياس يفترض أن يكون بين يدى دارس الشعر الصحيح النسب للشاعر، ثم قصائده المجهولة النسب له، ثم قصائده المنسوبة إلى روحه. حيث اتخذ مصلوح هذه الفرضيات في معالجة مشكلة الشوقيات محاور عامة في دراسته.

ويهدف مقياس يول المعروفة (بالخاصية) إلى "قياس تكرارية المفردات وهو مقياس تتوافر فيه صفات الموضوعية والصحة والثبات، ومن مميزاته أنّه لا تتأثر نتائجه بطول العمل المدروس، كما يرصد ذات التكرار العالي الّذي يميل المنشئ إلى استخدامها، وهي بالطبع تختلف من منشئ لآخر."[28]

وتنحصر دلالة المقياس في كونه مؤشرا قويا يدل على شخص المؤلف فقط، ويرتجي منه دلالات تقويمية من حيث الجمال أو القبح وما شاكل ذلك، كما أنّه يختص الاسم من أقسام الكلم باعتبار أنّ تكراريته من أبرز السمات الدالة على المنشئ مستبعدا بذلك " أعلام الأشخاص الأماكن، وما استعمل من الأسماء استعمال الصفة، غير أن مهمة مصلوح أصعب نسبيا، فالنحو العربي التقليدي يضع تحت الأسماء كل ما سوى الأفعال والحروف من الكلم، لذا اقترب الباحث من تحديد أفضل للمادة المقيسة باستبعاد أعلام الأماكن والأشخاص والضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، الصفات القياسية كاسم الفاعل، اسم المفعول، وصيغ المبالغة، واسم التفضيل، والصفة المشبهة"[29]

❖ الأسلوب دراسة لغوية إحصائية:

يعد كتاب سعد مصلوح (الأسلوب دراسة لغوية إحصائية) من "أهم الكتب التي عملت لتحقيق هذه الأهداف، فتحدد فيه علمية المنهج وانضباط الوسائل خاصة ما يتعلق بالجانب الإحصائي (التنظيري والتطبيقي معا) وقد رسم الكاتب خط الدراسة غرضها بأنها سائرة نحو معالجة قصور الباحثين في التعامل مع الإحصاء في الأدب."[30]

وشملت هذه الدراسة قسمين: الأول نظري: حيث يحدد سعد مصلوح في هذا الفصل ماهية الأسلوب، كما يبين أهمية الإحصاء في دراسته،كما يتحدث أيضا عن قضايا أساسية في دراسة الأدب.

والثاني تطبيقي: ويحاول فيه دراسة الأساليب المختلفة، طبقا لمعادلة بوزيمان الذي كان أول من اقترحها وطبقها على نصوص من الأدب الألماني في دراسة نشرت له عام 1925م.

ويعتمد الكاتب منهج "الإحصاء بوصفه وسيلة علمية في دراسة الأسلوب باعتبار أن المنهج الإحصائي يتسم بضوابط وقوانين تعين على الوصول إلى أحكام موضوعية، ويتخذ من معادلة بوزيمان مقياسا لتشخيص الأساليب المختلفة وتمييزها."[31] كما يعتمد الكتاب على المعايير الموضوعيّة كالقياس الكمي أو التحليل الإحصائي للنصوص، أي أنّ سعد مصلوح يتبنى الأسلوبية الإحصائية في تحليل النّصوص الأدبيّة.

ولقد مرّ استخدام الإحصاء في دراسة اللّغة –في نظر سعد مصلوح– بمرحلتين "ساد في أولاهما اتجاه: يهدف إلى قياس الخصائص العامة (أو المشتركة) في الاستعمال The Universals. أما في المرحلة الثانيّة فقد ساد اتجاه مقابل هدفه التوصل إلى الـــخصائص الفـارقة (أو الميزة) بين الأساليب.(The Differentials."[32] ولقد جذب الاتجاه الثاني اهتمام دارسي الأسلوب في حين اهتم بعض المشتغلين بعلم اللغة بتطوير الدراسات في الاتجاه الأول. وهذان الاتجاهان متكاملان في دراسة الأسلوب كما أنّ أهمية الإحصاء تتمثل في "قدرته على التمييز بين السمات أو الخصائص اللغوية التّي يمكن اعتبارها خواص أسلوبية. وبين السمات التّي ترد في النّص ورودا عشوائيا..."[33]

ويوجز الناقد أسس النظرية الإحصائية للأسلوب في قضيّة بسيطة فحواها أن الأسلوب هو مفهوم احتمالي aprobabilstic concept كما أن هذه النظريّة وجدت ضالتها في مصطلحات ومفاهيم النحو التحويلي.

وتقوم معادلة بوزيمان على "تحديد النسبة بين مظهرين من مظاهر التعبير، أولهما: التعبير بالحدث(Active Aspect) وثانيهما: مظهر التعبير بالوصف (Qualitative Aspect)ويعني بوزمان بالأولى الكلمات التي تعبر بالحدث أو الفعل وبالثانية الكلمات التي تعبر عن صفة مميزة لشيء ما؛ أي تصف هذا الشيء وصفا كميا أو كفيا."[34]

وتطبيقها يتم بإحصاء عدد الكلمات التي تنتمي إلى النوع الأول وعدد الكلمات التي تنتمي إلى النوع الثاني ثم إيجاد حاصل القسمة المجموعة الأولى على الثانية، ومنه يمكن تحديد أدبية الأسلوب من علميته، فارتفاع حاصل القسمة يعني الأسلوب أدبي وانخفاضها يعني علمية الأسلوب .

ويقدم الناقد لمحة عن الظروف المحيطة لوجود هذه المعادلة لأنه وحسب رأي بوزمان هذه الظروف هي التي أدت به إلى التوصل لهذه المعادلة، وتقوم أبحاث بوزيمان على دعامتين:

الأولى: ملاحظة الكلام الصادر عن إنسان شديد الانفعال يتميز بزيادة عدد كلمات الحدث على عدد كلمات الوصف.[35]

الثانيّة: أنّ " اللّغة المنطوقة تمتز بزيادة النسبة المذكورة على حين تمتاز اللغة المكتوبة بانخفاضها"[36]، ومرجع ذلك –في رأيه– "أنّ معدل السرعة في الكتابة أكثر بطئا منه في النطق لذا فإنّ الفواصل الزمنيّة بين تدوين الكلمات تؤدي إلى إتقان عمليّة تجسيم الأفكار وتحديدها، ويؤدي هذا بدوره إلى مزيد من استخدام الصفات على حساب استخدام الأفعال."[37]

ولقد تبلورت هذه النظريّة في إطار البحوث السيكولوجيّة التي تهتم بدراسة الشخصيّة، وقياس مدى الانفعال والاتزان، وغير ذلك من الأمور النفسيّة، غير أنّه "يصعب تطبيقه بصورته تلك –كما حددها بوزيمان– على اللغة العربيّة وذلك لعدم وجود فروق دقيقة بين (الوصف) و(الحدث)."[38] ومن ذلك أنّ هناك من الصفات –كاسم الفاعل واسم المفعول –ما يعمل عمل الفعل، ضف إلى هذا الأفعال الناقصة، وأفعال المدح والذم ما يفتقر إلى التعبير بوضوح عن الحدث.

وعلى هذا الأساس حاول كل من عالم النفس الألماني ف.نوبياور والباحثة شيلتسمان أوف انسبروك تبسيط هذه المعادلة وتدقيق صياغتها فاستعملا مصطلحي "عدد الأفعال" و"عدد الصفات" بدل مصطلحي" الوصف" و"الحدث"ومن ثم تصبح المعادلة من وجهة نظرهما كما يلي:

نسبة الفعل إلى الصفة= عدد الأفعال/ عدد الصفات

ومختصرها عندنا–أي في اللّغة العربيّة– (ن.ف.ص)، حيث: ن: تعني نسبة ف: تعني الفعل ص: تعني الصفة (أي نسبة الفعل إلى الصفة).

وتشمل المعادلة جميع الأفعال، باستثناء مايلي:

1) الأفعال الناقصة مثل كان وأخواتها.

2) الأفعال الجامدة مثل بئس ونعم.

3) أفعال الشروع والمقاربة مثل كاد وأخواتها.[39]

ولقد أطلق الكاتب على هذه المعادلة (ن ف ص) وهي معادلة تستخدم "كمؤشر لقياس مدى انفعاليّة (أو عقلانيّة) اللغة المستخدمة في النصوص، ومن ثم استخدمت مقياسا لتشخيص الأسلوب الأدبي."[40]

ويحدد الناقد الأساليب التي تتميز بارتفاع (ن ف ص) وما يقابلها مما يتميز بانخفاضها على النحو التالي:

الأساليب التي تتميز بارتفاع (ن ف ص)	الأساليب التي تتميز بانخفاض (ن ف ص)
الكلام المنطوق	الكلام المكتوب
نصوص اللهجات	النصوص الفصحى
النصوص الشعريّة	النثر
الأعمال الأدبية (كالقصة القصيرة، الروايّة، والمسرحية)	الأعمال العلميّة
النثر الأدبيّ قصص الجنيات	النثر الصحفي (الخبر/ المقال/ التعليق) الحكايات الشعبيّة
أعمال أدبية في فترة الشباب لمؤلف ما	أعمال أدبية لذات المؤلف في الكهولة
الأدب النسائيّ	الإنتاج الأدبي لمؤلفين رجال
المونولوج	السرد و والوصف
الحوار	المونولوج

لكن ثمة ملاحظات على تطبيق هذا المقياس يقدمها فتح الله سليمان في كتابه: (الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية) أهمها:

"أولهما: أنّه نسبي وليس مطلقا، ولذلك فان دلالته محدودة بالنّصوص التّي تتم مقارنتها، ويكتسب دلالته في حدود هذه المقارنات.

ثانيهما: أنّ هناك عوامل تؤثر في ارتفاع قيمة النسبة وانخفاضها، منها ما يرجع إلى الصياغة كاختلاف الفن أو وسيلة التعبير، فليس الشعر كالنثر مثلا، والكلام المنطوق يخالف نظيرة المكتوب، ونصوص اللهجات تختلف عن نصوص الفصحى...

ثالثا: تتمثل في أنّ بعض النصوص قد تشمل مؤثرات تعمل في اتجاهات متعارضة، بحيث يكون الأثر المتوقع لبعضها رفع قيمة (ن ف ص) والأثر المتوقع لبعضها الآخر هو خفض قيمة (ن ف ص)

ونتيجة ذلك أما أضعاف الاتجاهين، أو أن يلغى أحدهما الآخر، أو تحييد دلالة (ن ف ص)."[41]

وعليه فإنّ هذا المقياس نتائجه غير مطلقة وقد تختلف من نص لآخر، وحتى أنّها قد تختلف من شخص لآخر من نفس النوع أو الخاصيّة الواحدة.

وطبق سعد مصلوح هذا المقياس على بعض الأساليب النثرية في الفصل السادس من الكتاب، كـ"الأيام "لطه حسين و"مستقبل الثقافة في مصر" "حياة قلم" ويخلص إلى النتائج الآتية:

1. إنّ قيمة ن ف ص تتناقص تدريجيا مع تقدم مراحل العمر.
2. إنّ قيمة ن ف ص تميل إلى الارتفاع في النصوص التي تعبر عن السيرة الذاتية، والتي تقوم على السرد القصصي والحديث عن الذكريات.بينما تنخفض في النّصوص الّتي تعالج قضايا علميّة أو اجتماعيّة ممّا يدل على أنّ للموضوع أثرا في تحديد قيمة هده المعادلة.
3. إنّ قيمة ن ف ص لا تتميز بالثبات عند المنشئ الواحد، إذ أنّها تختلف باختلاف الموضوع، وعليه فإنّ مقولة بوزيمان بثبات هده النسبة عند المنشئ بقطع النظر عن الموضوع الّذي يتناوله، تبدو غير صحيحة[42]

كما يدرس الكتاب نماذج من النثر الصحفي المعاصر، ويثبت أنّ قيمة ن ف ص تنخفض في الأسلوب الصحفي بالنسبة لغيره من الأساليب الأدبية.

أما في تطبيقه مقياس بوزيمان على بعض المسرحيات شوقي: "مصرع كليوباترا، مجنون ليلى، الست هدى، أميرة الأندلس" توصل إلى مايلي:

انخفاض ن ف ص في "المونولوج والأحاديث الطويلة نسبيا"، وارتفاعها في "الحوار والأحاديث القصيرة المتسمة بالحيوية"[43] ويرجع فتح الله سليمان "ارتفاع ن ف ص مرتبطة بقلة المونولوجات وسيادة طابع الحوار كما أنّ انخفاضها مرتبط على العكس من دلك بطغيان المونولوجات على الحوار." [44]

ينشأ عن الفرض السابق أن قيمة ن ف ص تصلح أيضا مؤشرا إحصائيا لقياس درامية المسرحية وحيوية المواقف والحوار .بحيث يكون ارتفاعها دليلا على قوة الجانب الدرامي؛ وانخفاضها دليل على ضعف هدا الجانب." [45]

إنّ درجة تنوع ن ف ص يمكن أن تعطي "مؤشرا إحصائيا لتشخيص طبيعة بين المؤلف وشخصيات مسرحية. بحيث ترتبط زيادة تنوع ن ف ص بحيوية الشخصيات، كما يرتبط انخفاض درجته بنمطية الشخصيات وشحوب تميزها لغويا." [46]

وأخيرا يطبق الناقد مقياس بوزيمان على الرواية، حيث يرى نسبة "ن ف ص" ترتفع في الحوار وتنخفض في السرد وهدا راجع إلى عاملين هما: العمر والجنس. وأنّ عدم التمايز بين السرد والحوار، وانعدام السمات الفارقة بين هدين المستويين يؤدّي إلى اضطراب قيمة ن ف ص. أما إذا كان الحوار مسرحيا مركزا فذلك يؤدي إلى انتظام نسبة الأفعال إلى الصفات، وبالإضافة إلى تأثير عاملي العمر والجنس في قيمة ن ف ص، هناك عامل ثالث يؤثر في قيمتها ويميل بها نحو الارتفاع، وهو التأزم الانفعالي." [47]

وينهي كتابه بتحديد أهم المجالات التي يمكن استخدام معادلة بوزيمان: في اللسانيات النفسانية، بالنسبة للمؤلف، بالنسبة للأعمال الأدبية؛ "ففي علم النفس اللغوي يمكن أن يستخدم هدا المقياس في تحديد درجة الانفعال، ودرجة التوازن العاطفي، وفيما يتصل بالمنشئ يفيد هدا المقياس في تحديد جنس المؤلف، ومعرفة شخصيته؛ وبتطبيق هدا المقياس نستطيع أن نميز بين الأعمال العلمية من للأعمال الأدبية، أو نحدد فنون الشعر المختلفة." [48]

الهوامش والإحالات:

1)سعد عبد العزيز مصلوح: في البلاغة العربيّة واللسانيات الأسلوبية آفاق جديدة، فهرسة مكتبة الكويت الوطنية، ط/1،سنة:2003، ص: 21.

2) رامي علي أبو عياشة: اتجاهات البحث الأسلوبي في مجلة فصول(2005/1980)، دار ابن الجوزي، ط/1، سنة(1431هـ /2010م)، ص: 67

3) المرجع السابق ، ص: 165.

4) نفسه، ص: 166.

5)سعد مصلوح: الدراسة الإحصائية للأسلوب، مجلة عالم الفكر، مج 20 ع/3، أكتوبر– نوفمبر– ديسمبر 1989، ص: 99.

6) المرجع السابق، ص: 99.

7)نفسه، ص: 101.

8)ينظر سعد مصلوح: الدراسة الإحصائية للأسلوب،ص: (103/102).

9) المرجع السابق، ص :105.

10) نفسه، ص: 105.

11)نفسه، ص: 106.

12) نفسه ، ص: (107/106).

13) ينظر نفسه ، ص:107 .

14) نفسه ،ص: 108.

15) نفسه ، ص:(109...111).

16) سعد مصلوح: من الجغرافية اللغويّة إلى الجغرافيّة الأسلوبية، مجلة عالم الفكر،مج/22، ع(3،4)، يناير /مارس/أفريل/يونيو1994، ص:20.

17) المرجع السابق، ص: 21.

18)سعد مصلوح:الدراسة الإحصائية للأسلوب، ص :120

19) المرجع السابق، ص: 120

20) نفسه ، ص: (120،121)

21) نفسه ، ص: 121.

22) نفسه ،ص :121.

23) نفسه ، ص: (122،123).

24) نفسه ، ص:124.

25) نفسه ،ص:125.

26) سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية،عالم الكتب، ط/3، سنة: (1416هـ/1996م)، ص:(57...59).

27) رامي علي أبو عياشة: اتجاهات البحث الأسلوبي في مجلة فصول ، ص: 67.

28) المرجع السابق: ص: 68.

29)سعد مصلوح: تحقيق نسبة النص للمؤلف، مجلة فصول، مج/3، ع/1، سنة: 1982 ص: 68.

30)رامي عياشة: اتجاهات البحث الأسلوبي في مجلة فصول، ص: 170.

31) فتح الله سليمان: الأسلوبية مدخل نـــظري ودراســـة تطبيقية، تقديم طه وادي ،مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ط) سنة: (2004/1425) ص: 77.

32) سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ، ص: 52.

33) المرجع السابق، ص: 51.

34) نفسه ، ص: 74.

35) نفسه ، ص: 74.

36)نفسه، ص: 74.

37)نفسه، ص: 75.

38)فتح الله سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص: 78.

39)ينظر سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ، ص: (77–78).

40)المرجع السابق، ص: (79–80) –بتصرف–

41) فتح الله سليمان في كتابه: (الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية)، ص ص: (79–80) –بتصرف–

42)المرجع السابق، ص:80.

43)سعد مصلوح: الأسلوب، ص:88.

44) فتح الله سليمان في كتابه: (الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية)، ص: 81.

45)سعد مصلوح: الأسلوب، ص:88.

46)المرجع السابق، ص:88.

47)سعد مصلوح: الأسلوب، ص:106.

48) فتح الله سليمان في كتابه: (الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية).